بسم الله الرحمن الرحيم

١ — من كنعان إلى مصر

انتقل يعقوب « عليه السلام » الى مصر وانتقل معه اولاده .

انتقلوا إلى مصر لأن يوسف بن يعقوب « عليهما السلام » هو سيد مصر ، يأمر وينهى فيها .

وكانوا فى كنعان يرعون الغنم ويحلبون الشاة ويبيعون الصوف

وعبيد يوسف وخدمه يأكلون وينعمون فى مصر !

فما يصنعون فى كنعان ؟ ولماذا لا يذهبون الى مصر ؟

ارسل يوسف إلى يعقوب واهله وطلبهم من كنعان .

وكان يوسف لا يطيب له طعام ولا شراب حتى يرى أباه وإخوته .

وكيف يطيب له طعام وشراب، وكيف يطيب له عيش وهو وحيد فى مصر ؟ .

وماذا يصنع بالقصور وأبوه واخوته فى بيت صغير فى كنعان ؟!

وجاء يعقوب واولاده إلى مصر فاستقبلهم يوسف وفرح بهم فرحا عظيما .

واستقبلت مصر أسرة سيدها وأسرة ملكها الكريم وفرحت بها فرحا عظيما .

واحب اهل مصر هذا البيت الكريم ، لأنهم يحبون يوسف لكرمه وإحسانه الى الناس .

ولأنهم راوا فى يوسف اخا ناصحا شفيقا ، فراوا فى يعقوب والدا ماجدا كريما .

وكان يعقوب كبير البلاد ، وشيخ مصر ، وكان اهل مصر له كالابناء .

وطابت ليعقوب وأبنائه الإقامة فى مصر وصارت لهم وطنا .

٢ — بعد يوسف

وبعد مدة مات يعقوب فحزن عليه يوسف وحزن عليه أهل مصر .

ودفنوا الشيخ فى مصر وكانهم فقدوا اباهم .

وبعد مدة مات يوسف ايضا فكان يوما على اهل مصر شديدا .

وحزن عليه اهل مصر حزنا شديدا وبكوا عليه بكاء طويلا .

ونسى الناس احزانهم وكانهم لم تصبهم مصيبة قبل هذا اليوم .

ودفنوا يوسف ايضا وعزى بعضهم بعضا ، فكانوا فى يوسف سواء .

كل صغير فقد اباه وكل كبير فقد أخاه .

ومشى الناس إلى إخوة يوسف وابنائهم يعزونهم .

ويقولون لهم : أيها السادة ! ليست خسارتكم اليوم اكبر من خسارتنا نحن .

فقد فقدنا فى دفين اليوم اخا شفيقا ، وسيدا رحيما وملكا عادلا .

هو الذى اراح العباد ، وازال الظلم من البلاد .

هو الذى منع الكبير يظلم الصغير ، ومنع القوى يأكل الضعيف .

هو الذى اغاث المظلوم وأجار الخائف واطعم الجائع .

هو الذى هدانا الى الحق ودعانا إلى الله وكنا قبل قدومه بهائم لانعرف الله ولا نعرف الاخرة .

هو الذى اغاثنا ايام المجاعة فكنا نأكل ونشبع ، والناس يموتون فى البلاد الاخرى .

إنا لا ننسى ملكنا الكريم ابدا ولا ننسى أيها السادة انكم إخوته وأهل بيته .

وكم فرح بكم سيدنا يوم قدومكم إلى مصر وكم فرحنا بفرح سيدنا .

فالبلاد بلادكم ، وإنا لكم أيها السادة كما كنا في حياة سيدنا .

٣ – بنو إسرائيل في مصر

وهكذا كان مدة طويلة !

فقد حفظ أهل مصر ماقالوا وعرفوا للكنعانيين الفضل.

وكان هؤلاء الكنعانيون الذين كانوا يدعون « بني إسرائيل » أصحاب شرف وأموال .

ولكن تغيرت الاحوال بعد ذلك ، فقد فسدت أخلاقهم ، وتركوا الدعوة إلى الله ودعاء الخلق إلى الله ، وسقطوا على الدنيا .

وتغير لهم الناس أيضا وصاروا ينظرون إليهم بغير ما كانوا ينظرون إلى آبائهم .

وصاروا كسائر الناس، لا يمتازون عن الناس إلا بالنسب

وصار الناس يحسدون الغنى منهم ويحتقرون الفقير منهم .

وصار أهل مصر ينظرون إليهم كغريب جاء من بلد آخر .

وليس له حق فى مصر .

وكان أهل مصر يعتقدون أنهم هم أهل البلاد وأن مصر للمصريين .

ويرى بعض أهل مصر أن يوسف كان غريبا جاء من كنعان .

واشتراه عزيز مصر .

وليس للكنعانى أن يحكم مصر .

ونسى كثير من الناس فضل يوسف وكرمه وإحسانه .

٤ — فرعون مصر

وجاء على عرش مصر فراعنة « ملوك مصر » يبغضون بنى إسرائيل بغضا شديدا .

وجاء على عرش مصر ملك جبار جدا . فكان لا يرى أن بنى إسرائيل من أولاد الانبياء وأنهم من بيت يوسف ملك مصر الكريم .

بل كان لا يرى أنهم بشر يستحقون الرحمة والإنصاف .

وكان يرى أن قومه « القبط » من نوع وأن بنى إسرائيل من نوع آخر .

القبط من نوع الملوك خلقوا ليحكموا

وبنو إسرايل من نوع العبيد خلقوا ليخدموا .

وكان فرعون يعامل بنى إسرائيل معاملة الحمير

والدواب يستخدمها الإنسان ولا يعطيها إلا قوت يومها.

وكان فرعون ملكا جبارا متكبرا لا يرى فوقه أحدا.

وكان لا يؤمن بالله بل كان يقول: «أنا ربكم الأعلى».

وكان مغرورا بملكه وقصوره وقوته ويقول: «أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون».

وكانه كان خليفة لنمرود ملك بابل.

وكان يغضب إذا علم أحدا يرى فوقه أحداً.

ودعا الناس إلى عبادته والسجود له، وأطاعه الناس.

وامتنع بنو إسرائيل لأنهم يومنون بالله ويومنون برسله واشتد غضب فرعون على بنى إسرائيل.

٥ — ذبح الأطفال

وذهب كاهن قبطي إلى فرعون وقال له :

« يولد مولود فى بنى إسرائيل يذهب ملكك على يده » .

وجن جنون فرعون ، وأمر الشرطة أن يذبحوا كل مولود يولد فى بنى إسرائيل .

وكان فرعون يرى أنه رب الناس يذبح من يشاء ويترك من يشاء .

كصاحب الغنم يذبح من غنمه ما يشاء ويترك ما يشاء .

وانتشرت الشرطة فى مصر يفتشون ويبحثون .

فإذا علموا مولودا ولد فى بنى إسرائيل أخذوه وذبحوه كما تذبح النعجة .

وعاشت الذئاب فى الغابة وعاشت الحيات والعقارب فى البلد ، ولم يتعرض لها أحد .

ولكن ما كان لمولود فى بنى إسرائيل ان يعيش، فى مملكة فرعون .

وذبح ألوف من الأطفال أمام آبائهم وأمهاتهم

وكان اليوم الذى يولد فيه مولود فى بنى إسرائيل يوما عسيرا .

وكان يوم حزن وبكاء .

وكان اليوم الذى يولد فيه مولود فى بنى إسرائيل يوم تعزية ورثاء .

وكان يذبح مئات من الأطفال فى يوم واحد كعيد الاضحى .

يذبح فيه مئات من الغنم والنعاج والبقر .

« إن فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا

يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين » .

٦ — ولادة موسى

وأراد الله أن يقع ما كان فرعون يخافه ويحذره .

ولد ذلك المولود الذى قدر الله أن يذهب مُلك فرعون على يده .

ولِد ذلِكَ المولود الذى قدر الله أن يكون خلاص بنى إسرائيل على يده .

ولد ذلك المولود الذى قدر الله أن يخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله .

ولِد ذلك المولود الذى قدر الله أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

ولد موسى بن عمران على رغم فرعون وجنوده .

وعاش موسى ثلاثة أشهر على رغم الشرطة ورقابتهم .

٧ — فى النيل

ولكن خافت أمّ موسى على مولودها الجميل ، وكيف لا تخاف وعدو الاطفال بمرصاد ؟ .

وكيف لا تخاف وقد اختطفت الشرطة عشرات من الاطفال من حجر الامهات فى أسرتها .

ماذا تصنع الام المسكينة ، وأين تخفى هذا المولود الجميل والشرطة لهم عيون الغراب وشامة النمل .

هنالك أغاث الله الام المسكينة وألهمها أن تضعه فى صندوق وتلقيه فى النيل .

الله أكبر ! كيف تضع الام الحنون طفلها فى صندوق وتلقيه فى النيل ؟ !

من يرضع الطفل فى الصندوق ؟ وكيف يتنفس الطفل فى الصندوق ؟ !

٧ — فى النيل

ولكن خافت أم موسى على مولودها الجميل ، وكيف لا تخاف وعدو الاطفال بمرصاد ؟.

وكيف لا تخاف وقد اختطفت الشرطة عشرات من الأطفال من حجر الامهات فى أسرتها .

ماذا تصنع الام المسكينة ، وأين تخفى هذا المولود الجميل والشرطة لهم عيون الغراب وشأمة النمل .

هنالك أغاث الله الام المسكينة وألهمها أن تضعه فى صندوق وتلقيه فى النيل .

الله أكبر ! كيف تضع الام الحنون طفلها فى صندوق وتلقيه فى النيل ؟!

من يرضع الطفل فى الصندوق ؟ وكيف يتنفس الطفل فى الصندوق ؟!

كلّ ذلك فكرت الأم الحنون ولكنها توكلت على الله واعتمدت على وحي الله .

وليس البيت أحفظ للطفل من الصندوق !

هنا الشرطة فى كل مكان ، وعدو الاطفال بمرصاد .

والشرطة لهم عيون الغراب وشامة النمل .

وفعلت الأم المسكينة ما أمرها الله ووضعت طفلها الجميل فى صندوق وألقته فى النيل .

وجزعت الأم الحنون ثم صبرت وتوكلت على الله .

« وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

٨ — فى قصر فرعون

كان فرعون له قصور كثيرة على شاطىء النيل .

وكان ينتقل من قصر إلى قصر ويتنزه على شاطىء النيل .

وكان يوما جالسا على شاطئ النيل يتنزه ويرى إلى النهر يجرى تحت رجليه

وكانت معه ملكة مصر تتنزه مع الملك وترى إلى النيل يجرى وبينما يتنزهان إذ وقع بصرهما على صندوق تلعب به أمواج النيل كأنما تقبله.

هل ترى يا سيدى ذلك الصندوق ؟

أين الصندوق فى النيل ؟ إنما هى خشبة سقطت فى النيل.

لا يا سيدى إنما هو صندوق !

وقرب الصندوق ، فقال الناس : نعم هذا صندوق !

وأمر الملك أحد الخدم ، وقال : إليك هذا الصندوق !

وذهب الخادم وأخرج الصندوق.

وفتح الصندوق فإذا فيه غلام جميل يبتسم.

وتحير الناس ، كل يأخذه ويراه

وتحير فرعون وزراءه .

قال بعض الخدم ، ان هذا الغلام إسرائيلي ولا بد للملك ان يذبحه .

وراثته الملكة ، ودخل حبه في قلبها فضمه الى صدرها وقبلته .

وشفعت له عند الملك وقالت : « قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا » .

وهكذا دخل موسى بن عمران قصر فرعون ، وعاش على رغم فرعون وشرطته .

ولم يهتد الشرطة إلى هذا المولود الاسرائيلي ، ولهم عيون الغراب وشامه النمل .

وأراد الله أن يربي فرعون « عدو الاطفال » طفلا يذهب ملكه على يده .

مسكين فرعون ! لقد اخطأ في شأن موسى .

وقد أخطأ معه وزيره هامان وجنوده .

« والتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خطئين » .

٩ — من يرضع الطفل ؟

وكان الطفل الجديد وكان الطفل الجميل لعبة القَصْرِ وَلَهْوَ الدَّارِ .

كل ياخذه ويقبله ، وكل يحبه ويمدحه ، لأن الملكة تحبه حبا عظيما .

فكيف لاَ تُحِبُّهُ سيدات القصر وكيف لا يحبه خدم القصر .

وكل ياخذه ويقبله ، لان الطفل جميل .

وطلبت الملكة مرضعا ترضع الطفل ، وجاءت وأخذت الطفل ولكن الطفل يبكى ويابى .

وطلبت الملكة مرضعا أخرى ، وحضرت وأخذت الطفل ، ولكن الطفل يبكى ويابى .

وثالثة ورابعة وخامسة ولكن الطفل يبكى ويابى .

عجبا ! لماذا لا يرتضع الطفل ، لاى شى يبكى ؟

اجتهدت المراضع أنْ تُرْضِعَ الطِّفْلَ لتسر الملكة وتنال منها جائزة ، ولٰكِنَّ اللهَ حَرَّمَ عليه المراضع .

وأصبح الطفل حديث القصر وشغل الدار .

هل رأيت يا اختى الطفل الجديد ؟

نعم قد رأيته ؛ طفل جميل جدا .

ولكنه طفل غريب ليس كالاطفال ! إنه لا يرتضع . وإذا أخذته مرضع يبكى ويابى أن يرتضع ؛ مسكين كيف يعيش ؟ إنه يموت .

نعم قد مضى عليه أيام ولم يرتضع

١٠ — فى حجر أمه

وقالت الام الحنون لأخت موسى :

إذهبى يا بنتى وانظرى أخاك لعله حى .

إن الله قد وعدنى أنه يرد الطفل إلى وانه يحفظه.

وذهبت أخت موسى تبحث عن أخيها.

وسمعت الناس يتحدثون عن طفل جميل فى قصر الملك.

ذهبت السيدة ووقفت تسمع حديث النساء فى القصر.

هل جاءت المرضع التى طلبتها الملكة من أسوان؟

نعم يا سيدتى، ولكن الطفل أبى أيضا ولم يرتضع.

يا سلام! ما شأن هذا الطفل؟ لعل هذه هى السادسة التى جربتها الملكة.

نعم ويقولون إنها مرضع نظيفة جدا وكل يرتضع منها.

سمعت أخت موسى هذا الكلام وقالت بأدب ولطف:

أنا أعرف إمرأة فى البلد، لا بد أن يرتضع منها الطفل.

قالت إمرأة : أنا لا أصدقَ قد جربنا ست مراضع ولكن الطفل لم يرتضع .

قالت أخرى : ولماذا لا نجرب السابعة ، ماذا علينا ؟

ووصلَ الخبر إلى الملكة فطلبت الجارية وقالت :

« إذهبي وخذى معك هذه المرأة » .

وجاءت أم موسى، وجاءت خادمة وقدمت إليها موسى.

فاعتنق الطفل المرأة وأقبل يرتضع ، كأنه كان منها على ميعاد

ولماذا لا يرتضع وهى أمه الحنون ؟ !

ولماذا لا يرتضع وهو جائع منذ ثلاثة أيام ؟ !

وعجبت الملكة وعجب أهل القصر وارتاب فرعون وقال لماذا قبل هذا الطفل هذه المرأة فهل هى أمه ؟

قالت أم موسى ياسيدى أنا إمرأة طيبة الريح طيبة اللبن كل طفل يقبلني .

وسكت فرعون واجرى عليها رزقا .

ورجعت ام موسى إلى بيتها وفى حجرها موسى .

« فرددناه إلى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

١١ - إلى قصر فرعون !

ولما أتمت أم موسى رضاعته ردته إلى القصر .

ونشا موسى فى قصر الملك كما ينشأ أبناء الملوك .

وهكذا زالت من قلب موسى مهابة الملوك والاغنياء .

ورأى موسى بعينيه كيف ينعم فرعون وأهله .

وكيف يشقى بنو إسرائيل لينعم فرعون وأهله .

وكيف يجوع بنو إسرائيل لتشبع دواب فرعون .

وكيف يعاملون بنى إسرائيل معاملة الحمير والدواب .

وكيف يستخدمونهم ويسومونهم سوء العذاب .

وكان موسى يرى ذلك صباح مساء ويسكت .

ولكن كان موسى يغيظه ذلك .

وكيف لا يغيظه إهانة قومه وأسرته .

وهم أبناء الانبياء ، وهم أبناء الكرام .

وما ذنب بنى إسرائيل ، أأنهم ليسوا أقباطا ؟!

أأنهم من كنعان ؟!

هذا ليس بذنب ! هذا ليس بذنب !

١٢ - الضربة القاضية

ولما كان موسى شابا قويا آتاه الله حكما وعلما .

وكان موسى يبغض الظالمين ويكرههم ، ويحب الضعفاء والمظلومين وينصرهم وكذلك كل نبى .

ودخل موسى مدينة فرعون مرة والناس فى لهو وغفل .

ووجد فيها رجلين يقتتلان هذا من بنى إسرائيل وهذا من الاقباط . أعداء بنى إسرائيل .

فصرخ الإسرائيلى ونادى موسى لنصره وشكى القبطى .

وغضب موسى فضرب القبطى ، فكانت القاضية .

ومات القبطى وندم موسى جدا وعرف ان هذا من عمل الشيطان .

فتاب موسى إلى الله وأناب وكذلك كل نبى .

« قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين » .

وَتَابَ اللهُ عَلَى مُوسَى ، لان موسى لم يقصد أن يقتل القبطى ، بل ضربه ولكنها كانت القاضية .

وحمد الله موسى وقال : إن الله قد أنعم على وغفر لى « فلن أكون ظهيرا للمجرمين » .

وأصبح فى المدينة خائفا يترقب ويحذر متى تجيئه شرطة فرعون ولهم عيون الغراب وشامة النمل .

واصبح خائفا يترقب متى تجيئه الشرطة ويأخذونه إلى الجبار .

ورأى الشرطة قتيلا قبطيا من خدم فرعون ففتشوا عن القاتل ولكنهم لم يهتدوا إليه .

ومن يدلهم على القاتل ولا يعلمه إلا موسى والإسرائيلى ؟!

وأصبح القتيل حديث البلد وشغل المدينة ، كل يتحدث عنه ولا يعلم قاتله .

وغضب فرعون وقال للشرطة : لابد أن تفتشوا عن القاتل .

١٣ — يظهر السر

وفى اليوم الثانى يرى موسى ذلك الإسرائيلى فى قتال وخصام مع قبطى آخر .

وما استحى الإسرائيلى بل صرخ ونادى موسى لنصرته .

قال موسى انك رجل وقح ، ألا تزال فى قتال وجدال مع الناس ولا تزال تصرخ وتنادينى .

ألا ازال أنصرك وأساعدك « إنك لغوى مبين » .

ولـــكن أراد موسى أن يودب القبطى قليلا وتقدم إليهما .

ورأى الإسرائيلى غضب موسى وسمع ملامه .

وخاف أن يضربه موسى فتكون القاضية ، كما ضرب القبطىُ فكانت القاضية .

« فقال يامَوسى اتريدَ أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين » .

هنالك عرف القبطى أن موسى هو قاتل أمس .

وذهب القبطى وأخبر الشرطة بأن موسى هو القاتلُ

ووصل الخبر إلى فرعون وغضب قال أذلك الفتى رَبيب القصر وَرضيع الملك ؟

ولـــكن الله أراد أن ينجو موسى من شر فرعون وشرطته .

إنَّ موسى لم يقصد أن يقتل القبطى بل ضربه ضربة كانت القاضية .

ولـــكن فرعون وشرطته لايسلمون ذلك ولا يقبلون لموسى عذرا .

إن الله قد قدر أن يذهب ملك فرعون على يد موسى

إن الله قد قدر أن يكون خلاص بنى إسرائيل على يد موسى .

إن الله قد قدر أن يخرج موسى الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى .

وكيف يكون ذلك إذا وصلت إليه يد الشرطة الظالمين .

وكان رجال فرعون ووزراؤه يتشاورون ويعزمون على قتل موسى .

وكان رجل يسمع كل ذلك ويعرفه فجاء إلى موسى وأخبره بالخبر وقال « أخرج إنى لك من الناصحين » .

« فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ».

١٤ — من مصر إلى مدين

ولكن إلى أين يذهب موسى، ومصر كله مملكة لفرعون ؟!

وشرطة فرعون بالمرصاد ، ولهم عيون الغراب وشامة النمل !

ألهم الله موسى أن يذهب إلى مدين البلد العربى ، حيث لا تصل إليه يد فرعون .

إن مدين بادية وقرى ليس فيها مدنية مصر .

وليس فيها قصور مصر وأسواق مصر .

ولكنها بلاد سعيدة لانها بعيدة من فرعون .

وإنها سعيدة لأنها بلاد حرة ليست تحت حكم فرعون .

يا حبذا البداوة مع الحرية والعدل .

ويا شقاوة المدنية مع العبودية والذل .

هنالك يصبح كل أحد لا يخاف سطوة فرعون وقهره .

وهنالك يبيت كل أحد لا يخاف شرطة فرعون وشره هنالك لا تذبح الأبناء .

قصد موسى مدين . وخرج من مصر خائفا يترقب أيتبعه أحد ولكن نام عنه الشرطة .

خرج موسى على اسم الله يدعو الله ويطلب منه النصر .

« ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل » .

١٥ - فى مدين

وصل موسى إلى مدين ، لا يعرف أحدا ولا يعرفه أحد .

فمن يأوى إليه فى الليل ؟ وأين يبيت ؟

تحير موسى ولكنه أيقن أن الله لا يضيعه !

وكان هنالك بئر يسقى عليها الناس غنمهم وماشيتهم .

ووجد امرأتين تذودان غنمهما وتنتظران أن يسقى الناس فتسقيا .

رأى موسى ذلك وفى قلبه حنان الكريم وشفقة الأب الرحيم .

فقال : لماذا لا تسقيان ؟

قالتا : لا يمكن لنا أن نسقى غنمنا حتى يسقى الناس ، لأنهم أقوياء . ونحن ضعفاء ، ولأنهم رجال ونحن إناث .

وكأنما عرفتا أن موسى سيسالهما : فلماذا لا يسقى أحد من رجال يتسكن ؟

فسبقتا وقالتا : « وأبونا شيخ كبير » .

وهاج فى موسى حنان الكريم وسقى لهما وذهبتا .

وأين يذهب موسى الان ؟!

وإلى أين يأوى فى الليل وأين يبيت ؟! إنه لا يعرف أحدا ولا يعرفه أحد !

« ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » .

١٦ — الطلب

ووصلت الجاريتان إلى البيت قبل الميعاد فعجب ابوهما وسالهما عن السبب .

وقال لهما : ما أعجلكما يا بنتى ، وكيف وصلتما اليوم قبل الميعاد ؟

قالت السيدتان : قد قدر الله لنا رجلا كريما سقى لنا .

تعجب الشيخ وعرف أنه رجل غريب لأن أحدا لم يرحمهن يوما .

قال الشيخ : وأين تركتما الرجل ؟

قالتا : تركناهُ فى مكانه ، رجلٌ غريبٌ ليس له مأوى !

قال الشيخ : ما أحسنتما يا بنتىَ ، رجلٌ غريبٌ قد احسن إلينا وليس له مأوى فى البلد .

إلى من يأوى فى الليلِ ، وأين يبيت ؟!

إن له علينا حق الضيافه ، وإن له علينا حق الإحسان !

لتذهب إحداكما وتأخذه معها .

« وجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجرَ ما سقيت لنا » .

وعرف موسى أن الله قد أجاب دعاءه وبوأ له ، فأبى .

وخرج موسى أمامها لئلا يقع نظره عليها ، ومشى موسى مشي الكرام .

ولما وصل إلى الشيخ سأله عن اسمه ووطنه وخبره .

وأخبر موسى خبره وقص عليه قصته .

سمع الشيخ كل ذلك بصبر وهدوء ، ولما انتهى موسى من قصته .

« قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين » .

١٧ — الزواج

وأقام موسى عندهم مقام ضيف كريم ، بل حل منهم محل الولد العزيز .

وقالت سيدة لوالدها يوما فى بساطة وطهارة .

« يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » .

قال الشيخ : وما علمك بقوته وأمانته يا بنتى ؟

قالتْ : أمّا قوّته فلأنّهُ رَفعَ الغطاءَ عن البئر وحْدهُ ، ولا يرْفعهُ إلّا جماعةٌ .

وَأمَا أمَانته يا أبتِ فلأنّهُ مشى أمَامى لا ينظُرُ إلى طول الطريقِ .

ولا بدّ للأجير ولَابُدّ للخَادِم أنْ يكُون قويًا أمينًا .

فإذا لمْ يكنْ قويا ضعف عن العمل .

وإذا لمْ يكنْ أمينًا لمْ تنفعْنا قُوّتهُ مع خيانته .

ووافق كلام السيّدة هوى فى قلْب الشيْخ ولكنهُ فكّر فى المسألة كوالد .

وفكّرَ فى المسألة كشيْخ عاقل .

قال الشيْخُ فى نفسه : منْ ذا يكونُ أحق منْ هذا الفتى بأنْ يكونَ صِهْرًا لِى .

وأيْنَ أجدُ فى الدُّنيا أفضل مِنْ هذا الشاب ؟!

أمَا فِى مَدين فلمْ أجدْ أحَدا أهلا لذلك !

ولعل الله قد ساق هذا الفتى إلىّ ليكون لى صهرا ووزيرا .

فقال فى وقار وشفقة وحكمة :

« إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على ان تاجرنى ثمانى حجج » .

وهذا هو صداقك ، اما هذه السنوات الثمانى فلابد منها .

« فإن أتممت عشرا فمن عندك وما اريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين » .

خاف الشيخ أن يذهب الشاب بينته ويبقى وحيدا .

ورأى الشيخ أن يجرب الشاب أيضا حتى إذا اطمأن إليه ودعه .

وافق موسى على ذلك ورأى أن هذا من الله وأن الله سيبارك فى ذلك .

إنَّ الله قد ساقه إلى مدين وأرسله إلى الشيخ وألقى في قلبه حنانا وحبا .

فقال : « ذلك بيني وبينك » .

ولكن أراد موسى — بحكمته وعقله — أن يحفظ له حق الخيار لعله يسأم فقال :

« أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل » .

١٨ — إلى مصر

« ولما قضى موسى الأجل سار بأهله » وودع الشيخ وودعه الشيخ ودعا له .

على بركة الله يا ولدي ! في أمان الله يا بنتي !

وسافر موسى بأهله ، والليل كله برد وظلام .

ولكن ان النار في الصحراء ؟

وماذا يصنعان إذا لم يجدا نارا يصطليان بها ، ولم يجدا نورا يهتديان به ؟!

وبينما هما يسير ان وموسي يبحث عن نار « إذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » .

وسار موسى قبل النار على جناح الشوق .

« فلما اتاها نودى يا موسى إنى انا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » .

هنالك كلم الله موسى واوحى إليه .

« وانا اخترتك فاستمع لما يوحى * إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلوة لذكرى إن الساعة آتية » .

وكان فى يد موسى عصا كان يحملها ويستعين بها وكان موسى لا يدرى ما هذه العصا فقال الله تعالى :

« وما تلك بيمينك يا موسى » .

وأجاب موسى فى بساطة وسذاجة .

« هى عصاى » .

واخذ موسى يعد فوائد هذه العصا فى تفصيل لانه اراد أن يكلم الله ويكون حديثه طويلا .

« هى عصاى أتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مارب أخرى »

« قال القها يا موسى » .

« فالقاها فإذا هى حيه تسعى » .

« قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتها الاولى » .

ومنح موسى آية ثانية ، هى اليد البيضاء فقال :

« واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى » .

١٩ — اذهب إلى فرعون إنه طغى

وأمر الله موسى بعد ذلك كله أن يشرع عمله الذى خلقه لأجله.

إن فرعون علا فى الأرض، إن فرعون أفسد فى الأرض.

إن قوم فرعون كفروا بالله، إن قوم فرعون أفسدوا فى أرض الله.

إن الله لا يرضى لعباده الكفر إن الله لا يحب الفساد فى الأرض.

فأراد الله أن يذهب موسى إلى فرعون وقومه «إنهم كانوا قوما فاسقين».

لكن كيف يذهب موسى إلى فرعون وكيف يواجه الجبار.

وهو الذى قتل القبطى بالأمس وما أمس ببعيد!

وهو الذى خرجَ من مصر خائفا يترقب ، وَيعرفه الشرطة وَيعرفه اهل القصر .

« قال ربِّ انى قتلت منهم نفسا فاخاف أنْ يقتلونِ ».

وذكرَ موسى أنَ فى لسانه حبسه .

ولكنَ الله كانَ يعرف ذلِك كله وَيُريد أن يذهب موسى رغم ذلك كله .

« وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظلمين قوم فرعون آلا يتقون ».

« قالَ رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون » .

« ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون » .

« قال كلا فاذهبا بايتنا إنا معكم مستمعون .

« فأتيا فرعونَ فقولا إنا رسول رب العلمين »

« ان ارسل معنا بنى إسرائيل » .

وأوصى الله موسى وهارون باللين والرفق مع فرعون.

إن الله يحب الرفق مع اعدائه إلى حد فقال :

« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ».

٢٠ — أمام فرعون

وجاء موسى وهارون إلى فرعون وقاما فى مجلسه يدعوانه إلى الله.

وغضب الجبار من جراءة موسى وقال فى علو وكبر.

من تكون أيها الشاب حتى تقوم فى مجلسى وتعظنى.

ألست ذلك الغلام الذى التقطناه من البحر ؟!

« ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ».

« وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكفرين ».

ولم يغضب موسى ولم يكذب ولم يجحد ولم يعتذر بل أجاب فى صراحة ووقار.

« قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ، ففررت منكم

لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين».

وقال موسى: إنك يا فرعون تمنُّ علي بالتربية ولكن لا تنظر لماذا وقعت بيدك وكيف أمكنك ان تربيني؟.

إنك لو لم تأمر بقتل الأطفال لما ألقتني امي في النيل وما وقعت بيدك.

وهل هذه نعمة تعد وتذكر في جنب ظلمك وقساوتك؟.

انك عاملت قومي كلهم معاملة الحمير والدواب.

وكنت تزجرهم زجر الكلاب.

وكنت تسومهم سوء العذاب.

فأي فضل لك إذا كفلت طفلا منهم؟! وذلك أيضا عن جهل وخطأ!

«وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل».

٢١ — الدعوة إلى الله

وعجز فرعون ولم يجد جوابا ، فأراد أن يتخلص فقال :

« وما رب العالمين » الذى أنسمعك تذكره ؟ .

« قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين » .

غضب فرعون من هذا الجواب وأراد أن يغضب أهل المجلس ويتعجبوا .

« فقال لمن حوله : ألا تستمعون » ؟

ولم يقطع موسى الكلام بل ضرب فرعون ضربة ثانية .

« قال ربكم ورب آبائكم الاولين »

واشتد غضب فرعون ولم يصبر وقال :

« إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون » .

ولم يقطع موسى الكلام وضرب فرعون ضربة ثالثة .

« قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون » .

وأراد فرعون أن يشغل موسى عن هذا الموضوع المر .

وأراد فرعون أن يثير غضب ملئه .

فقال : « وما بال القرون الاولى ؟! »

قال فرعون فى نفسه : إذا قال موسى إنهم كانوا على الحق

قلت : فإنهم كانوا يعبدون الاصنام !

وإذا قال موسى إنهم كانوا فى ضلالة وسفاهة .

غضب أهل المجلس وقالوا إن موسى سب آباءنا .

ولكن موسى كان أعقل من فرعون وكان موسى على نور من ربه ، فقال :

« علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ».

ثم انشا موسى يقول ما كان فرعون يفر منه ويتخلص :

« لا يضل ربى ولا ينسى ، الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء » .

وتحير فرعون وبهت ولم يدر ما يقول، فقال ما تقوله الملوك كلهم إذا عجزوا يغضبوا .

« قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين ».

٢٢ - معجزات موسى

ولما أطلق فرعون سهمه ، أراد موسى أن يرميه بسهم الله .

« قال أولو جئتك بشىء مبين ؟! »

« قال فأت به إن كنت من الصادقين »

« فألقى موسى عصاه فإذا هى ثعبان مبين » .

« ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين »

ووجد فرعون مقالا يقوله لجلسائه .

« قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم » .

ووافق أهل المجلس « قالوا إن هذا لسحر مبين » .

« قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون » .

ورمى فرعون موسى بسهم اخر فقال :

« قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمومنين » .

وأرادفرعون أن يخوف الملا من موسى فعل الملوك.

فقال : « يريد أن يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون » .

أشار الملا على الملك أن يجمع السحرة من مملكته

ويرمى بهم موسى

وهكذا كان : نودي في مملكة مصر « ألا من كان يعرف السحر فليحضر إلى الملك » .

واجتمع السحرة من كل ناحية من نواحي المملكة.

وكان يوم الزينة هو الميعاد .

« وقيل للناس هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين » ؟ .

٢٣ - إلى الميـــدان

وترى الناس يخرجون من بيوتهم ضحى ! ويمشون إلى الميدان أفواجا .

ويمشون إلى الميدان اطفالا ، وشبانا وشيوخا ، ورجالا ونساء .

ولم يبق في البيت إلا مريض أو عاجز .

ولا تسمع في المطرية[1] إلا حديث السحر وأسماء السحرة ...

---

(١) قصبة مصر أيام الفراعنة .

هل جاء ساحر اسوان[1] الأكبر ايضا ؟

نعم وساحر الاقصر[2] وساحر الجيزة[3] الشهير !

ماذا ترى يا أخي من يغلب ؟

ان مصر قد ألقت أفلاذ كبدها ترى يغلبهم احد !

وكيف يغلبهم موسى واخوه وأين تعلما السحر ؟

نشأ فى قصر الملك ثم خرج من مصر خائفا يترقب

وكان فى مدين سنين .

فأين تعلما السحر ؟

أفى مصر ؟ لا !

أفى مدين ؟ ما سمعنا أن هنالك فنا !

وجا بنو إسرائيل وهم بين يأس ورجاء ولعل اليأس

أغلب ، الله يرحم ابن عمران ! الله ينصر بنى إسرائيل !

رجا السحرة واقبلوا بحيلائهم وفخرهم .

(١ — ٢ — ٣) مدن مصر القديمة .

وخرجوا فى ملابس ملونة وخرجوا يحملون العصى والحبال .

وخرجوا يضحكون ويمرحون اليوم يوم الفن !

اليوم يرى الملك صنيعنا ، اليوم يرى القوم فضلنا !

« فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين » .

« قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين » .

وهذه هى جائزة الملوك ! وهذا عطاء الملوك !

وهذا الذى يخدع به الرجال ! وهذا الذى يصاد به الابطال :

وفرح السحرة بمواعيد فرعون .

٢٤ — بين الحق والباطل

« قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون » .

« فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون » .

ورأى الناس عجبا حيات تسعى فى الميدان ودهش الناس وتراجعوا إلى الخلف وهتفوا : حيات ! حيات !

وصاحت النساء وبكت الأطفال وعلا الهتاف فى الميدان : حيات ! حيات !

ورأى موسى ما رأى الناس وتعجب « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

وخطر فى قلب موسى خاطر خوف ! ولماذا لا يخاف موسى ؟

هذا يوم الرهان ! وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان !

وإذا غلب السحرة — لا قدر الله ذلك .

وإذا غلب موسى — لا سمح الله بذلك

فماذا يكون ؟ العياذ بالله ! !

وليس غلب موسى غلب رجل ، بل هو غلب دين أمام ملك .

بل هو غلب حق أمام باطل .

لا قدر الله ذلك ! لا سمح الله بذلك !

ولكن الله شجعه وقال :

« لا تخف إنك أنت الأعلى » .

« وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » .

« قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين » ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون » .

« وألق موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون » .

« فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » .

ودهش السحرة وبهتوا .

أي شيء هذا ؟ إنا نعرف السحر وأصله .

وإنا نعرف السحر وأنواعه .

ونحن أساتذة الفن ! ونحن أئمة الفن !

هذا ليس من السحر ! هذا ليس من السحر !

لو كان من السحر لضربنا السحر بالسحر وقرعنا الفن بالفن !

ولكن اضمحل فننا أمام هذا ، وذاب كما يذوب الندى أمام الشمس

فمن أين هذا ؟ هذا من الله !

اقتنع السحرة بأن موسى نبي وأن الله قد منحه معجزة فصرخوا وهتفوا :

« آمنا برب هرون وموسى » .

« وألقى السحرة سجدين * قالوا آمنا برب العالمين

رب موسى وهـ ـرون » .

٢٥ — وعيد فرعون

وجن جنون فرعون !

وقام فرعون وقعد وبرق فرعون ورعد .

مسكين فرعون وقع مالم يكن يرجوه !

إنهُ اراد أن يهزم موسى بالسحره فاصبح السحرة جند موسى .

إنه أراد أن يصد الناس عن موسى فجاء بالسحرة فإذا بهم أول المومنين !

إن سهامه ارتدت عليه .

وكان فرعون يعتقِد أنه ملك العقول كما أنه ملك الاجسام .

وأن له سلطانا على القلوب كما أن له سلطانا على الالسنة .

وليس لأحد فى مصر أن يعتقد شيئا أو يومن بشئ الا بإذنه فقال فى كِبْرٍ وجبروت .

« امنتم له قبل انْ اذن لكم » ؟!

ورماهم فرعون بسهم من سهام الملوك فقال :

« إنه لكبيركم الذى علمكم السحر » !

ورماهم بسهم ثان فقال

« إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون » !!

ورماهم بسهم ثالث مسموم هو السهم الاخير فى كنانة الملوك .

« لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين » .

وتلقى المومنون السهام كلها بجنة الإيمان والصبر وقالوا :

« لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون » .

« إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين » .

وقالوا فى إيمان وحماسة :

« إنا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وابقى * إنه من يات ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيي * ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العُلَى * جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار وذلك جزاء من تزكى » .

٢٦ - سفاهة فرعون

واهتم فرعون بأمر موسى كثيرا وطار نومه .

وبقى فرعون لا يطيب له طعام ولا شراب .

وأثار غضبه الاخرون أيضا وقالوا :

« أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك » ؟!

وغضب فرعون وثار .

« قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون »

وأراد فرعون أن يصد بنى إسرائيل وأهل مصر عن موسى بكل حيلة .

« ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » .

« أم انا خير من هذا الذى هو مهين * ولا يكاد يبين » !

وقال فرعون فى رزانة وحلم :

« ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى » !!

كأنه فتش كثيرا وفكر كثيرا ونصح لقومه .

وقال فى سفاهة وجنون :

« فاوقدلى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لاظنه من الكاذبين ».

وأوقد هامان على الطين و بنى صرحا ولكن إلى اين؟

تعب هامان وتعب البناؤون ونفد الطين والاجر.

ولا يزال فرعون بعيدا لم يصل إلى السحاب فضلا عن القمر.

ولم يصل إلى القمر فضلا عن الشمس.

ولم يصل إلى الشمس فضلا عن الكواكب.

ولم يصل إلى الكواكب فضلا عن السماء.

وخاب فرعون وخجل وعجز فرعون وقعد.

مسكين ألا يدرى أن الله «خلق الارض والسموات العلى».

« له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ».

« وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله ».

ولم يجد فرعون حيلة إلا أن يقتل موسى وحجته أن موسى يظهر فى الارض الفساد.

« وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه ، إنى أخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد».

٢٧ — مؤمن آل فرعون

ولما أراد فرعون أن يقتل موسى قام رجل من آل فرعون يكتم إيمانه وقال :

« أتقتلون رجلاً ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ».

وقال الرجل الرشيد من آل فرعون : لماذا تتعرضون لموسى و لماذا تودونه ؟

إذا لم تؤمنوا به فاتركوه وشأنه وخلّوا سبيله .

« إن يك كاذبا فعليه كذبه ».

وإذا اذيتمو ووعدتم به وكان نبيًا فلكم الويل .

« وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم » .

« ويا إخوانى لا تغتروا بملككم ، ولا تغتروا بقوتكم وجنودكم .

« ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من باس الله إن جاءنا ؟! »

وكان جواب فرعون أن قال :

« ما اريكم إلا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد».

وأراد الرجل الرشيد ان يحذر قومه سوء العاقبة ومصير الظالمين فقال :

« وياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد » .

وخوفهم الرجل الرشيد يوم القيامة .

وما يوم القيامة ؟

« يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وابيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .

« الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » .

« ولا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .

يوم ينادى الملك الجبار : « لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار » .

يوم يفزع الناس ويصرخون وينادى بعضهم بعضا ، ويوم يولون مدبرين مالهم من الله من عاصم .

فقال الرجل الرشيد :

« ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد » .

وقال الرجل الرشيد : إن الله قد وهبكم نعمة

ولكنكم ما عرفتم فضلها وما قدرتموها حق قدرها حتى إذا ذهبت تأسفتم عليها.

ذلك يوسف النبي عليه صلاة الله وسلامه الذى ما عرفتموه ولم تقدروه قدره.

ولكنه لما مات قلتم: سبحان الله نبي ولا كيوسف.

ملك ولا كيوسف! رجل ولا كيوسف!

ومن لنا بنبي بعده؟! من لنا بمثله؟!

أبدا! لن يأتى مثله!

«ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينت فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا».

كذلك تفعلون بعد هذا النبي أيضا! وتندمون!

٢٨ - نصيحة الرجل

ووعظ الرجل قومه وبذل لهم وده ونصيحته.

«وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد».

وعلم الرجل الرشيد أن القوم فى سكرة من الحياة الدنيا .

وأن فرعون مغرور بملكه وقوته .

ولكن هذه الحياة حلم من الاحلام وان الدنيا ظل زائل .

وعرف الرجل ما يمنع القوم من اتباع موسى ، ذلك بانهم سكارى بسكرة الدنيا .

والسكران ما يسمع وما يشعر .

ذلك بانهم حيث لا يسمعون صوت موسى .

فاراد أن ينبههم من غفلتهم فقال :

« يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متع وإن الاخرة هى دار القرار » .

وطفق الجهال من قومه يدعونه إلى الكفر والشرك ويدعونه إلى دين الاباء .

فإذا قال لهم تعالوا إلى الله ! قالوا له ارجع إلى دين الآباء !

ولما بالغوا فى الدعوة قال لهم :

« ويقوم مالى ادعوكم إلى النجوة وتدعوننى إلى النار ».

« تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ».

وقال لهم الرجل الرشيد : أى نبىّ جاء من آلهتكم ؟

وأى كتاب نزل ؟ ومن دعا إليه ؟

« أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ».

وهؤلاء رسل الله دعوا إلى الله ، ذلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويوسف وهذا نبى الله موسى .

وفى كل شىء له آية : وفى كل مكان له دعوة !

« لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة » .

ولما يئس الرجل من هدايتهم وسم الرجل من بلادتهم تركهم وقال لهم :

« فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » .

وغضب الناس وأراد آل فرعون أن يقتلوه ولكن الله عصمه وأهلك أعداءه .

« فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب » .

٢٩ — زوج فرعون

وكان فرعون يعتقد انه ملك العقول كما أنه ملك الأجسام .

وان له سلطانا على القلوب كما ان له سلطانا على الالسنة .

وليس لأحد فى مصر أن يعتقد شيئا أو يؤمن بشى
الا باذنه .

وكان إذا امن احد بموسى فى أقصى مملكة مصر
جن جنون فرعون .

وقام فرعون رقعد ، وبرق فرعون ورعد .

وقال كيف يكون له أن يؤمن بموسى قبل أن
آذَنَ لَهُ ؟!

يعيش فى مملكتى ويعصينى ، ويأكل رزقى
ويكفر نى ؟!

أنا اولى بكل رجل فى مصر من نفسه !

وينسى فرعون انه يعيش فى مملكة الله ويعصيه .
ويأكل رزق الله ويكفر به .

وأراه الله آية فى بيته ، آية فى اهله .

اراه الله انه ملك العقول كما انه ملك الاجسام .

وأن له سلطانا على القلوب كما أن له سلطانا على الالسنة .

وأن الله يحول بين الرجل واهله ، وأن الله يحول بين المرء وقلبه .

دخل الإيمان فى بيت فرعون وهو لا يشعر .

ولا يملك شيئا .

وآمنت امرأة فرعون بالله وكفرت بفرعون .

وآمنت بموسى على رغم زوجه ملك مصر .

آمنت بموسى أعلم خلق الله بفرعون وأحب الناس إليه .

ولم يصنع شرطة فرعون شيئا ولم يشعروا بذلك ربهم شامة النمل وعيون الغراب .

ولم يشعر بذلك فرعون وهو أقرب الناس إليها .

ولو علم بذلك فرعون ماذا فعل ؟ إنه يملك الجسم ولكنه لا يملك العقل .

وإنّ له سلطانا على اللسان وليس له على القلب سلطان .

وليس لفرعون وليس لاحد فى الدنيا انْ يحول بين المرء وقلبه .

إن لفرعون حقا على زوجه ولكن حق الله اكبر.

على المراة ان تطيع زوجها ولكن لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

على الولد ان يُطيع ابويه وانْ يكون بهما بارا رشيدا ولكن ليس له أن يُطيعهما فى الشرك .

« وإنْ جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتّبع سبيل من أناب الى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »

واستقامت امرأة فرعون على الإيمان ، وكانت تعبد الله فى بيت عدو الله .

وكانت تخاف الله وتتبرأ إلى الله مما يعمل فرعون.

ورضى الله عن امرأة فرعون وأنجاها الله من فرعون وعمله وضربها الله مثلا للمؤمنين لإيمانها وشجاعتها.

« وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ».

٣٠ — محنة بنى إسرائيل

ولما علم الناس عداوة فرعون لبنى إسرائيل، تقربوا إلى فرعون بعداوتهم وإيذائهم.

واجترأ على بنى إسرائيل الأطفال وهرتهم الكلاب.

ففى كل يوم محنة جديدة! وفى كل يوم بلية نازلة.

وموسى عليه الصلاة والسلام يسليهم ويوصيهم بالصبر، ويقول لهم:

« استعينوا بالله واصبروا إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ».

وسئم بنو إسرائيل هذه المحنة وهذا الاذى وقالوا لموسى :

لم تنفعنا شيئا ! لم تغن عنا شيئا !

« قالوا أوذينا من قبلِ أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا » .

ولكن موسى لم يجزع ! ولكن موسى لم ييئس !

« قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون » .

« وقال موسى يقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

« فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكفرين » .

وكان فرعون يمنع بنى إسرائيل من عبادة الله ، ويغضب إذا رآهم يعبدون الله ويصلون له .

وكان يمنعهم من أن يتخذوا مساجد لله فى أرضه ، وكان يغضب أن يعبد الله فى أرضه .

ما أجهل فرعون ! الارض لله لا لفرعون !

ومن أظلم ممن منع عباد الله أن يعبدوا الله على أرض الله ؟ !

ومن أظلم ممن دعا إلى عبادته على أرض الله ؟ !

ولكن فرعون ما كان يقدر أن يمنع أحدا يفعل ما يشاء فى بيته !

فأمر الله بنى إسرائيل على لسان موسى .

« اجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة » .

وعجز فرعون وعجزت شرطته أن يحولوا بين بنى إسرائيل وعبادة الله !

ومن يحول بين العبد وربه ؟ ! ومن يحول بين المسلم وعبادة الله ؟ !

٣١ - المجاعات

ولما طغى فرعون وأسرف فى الغفلة والعناد أراد الله أن ينبهه .

ان الله لا يرضى لعباده الكفر ! ان الله لايحب الفساد فى الارض !

وكان فرعون بليدا جدا ، ضاعت فيه الحكمة والموعظة .

والحمار لا يتنبه حتى يضرب !

فاراد الله أن ينبهه !

ومصر بلاد مخصبة خضراء ، بلاد الخيرات والاعمار وبلاد الحبوب .

وقد علمنا كيف أنجدت مصر بلادا بعيدة ايام المجاعة فى عهد يوسف عليه السلام .

وكيف أنجدت مصر اهل الشام واهل كنعان !

والنيل هو الذى يروى ارض مصر ويسقى زروعهم .

وهو منبع السعادة والخير فى مصر .

وكان فرعون وأهل مصر يظنون ان النيل هو مفتاح الرزق .

وأن مصر غنية بالنيل عن المطر وعن كل شئ .

ولا يعلمون أن الله عنده مفاتيح الرزق.

وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

وأن النيل يجرى بأمره ويفيض بأمره.

وامر الله النيل فغاض ماءه وذهب فى الأرض .

فماذا يروى زروع أهل مصر ؟

نقصت ثمراتهم ونقصت حبوبهم وكانت مجاعة بعد مجاعة !

وعجز فرعون وعجز هامان وعجزت شرطة فرعون عن كل حيلة .

هنالك علم أهل مصر أن فرعون ليس ربهم ، وانّ الرزق بيد الله !

ولكنّ ذلك لم ينفع فرعونَ ، ولم ينفع اهل مصر ولم ينبههم !

وحال الشيطان بينهم وبين الموعظة والعبرة .

قالوا هذه المجاعات وهذه السنون من شؤم موسى وقومه !

يا للعجب ! ألم يكن موسى من قبل ؟! ألم يكن بنو إسرائيل منذ زمن ؟!

بل ذلك من شؤم اعمالهم !! بل ذلك من شؤم كفرهم !

وعاند فرعون وقومه وقالوا إنا لا نخضع لهذا السحر.

« وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين .

٣٢ - خمس آيات

وبعث الله عليهم اية اخرى .

ارسل عليهم الامطار ، ففاض النيل .

وامطرت السماء وأمطرت وأمطرت وأمطرت .

حتى غرقت الزروع والحقول ، وتلفت الحبوب والثمار .

وعاد المطر عليهم وبالا .

وبينما هم يشكون قلة الماء اذا هم يشكون كثرة المياه .

ثم أرسل عليهم الجراد يأكل الزروع والحقول ويقع على الأشجار فلا يذر منها شيئا .

وعجزت جنود فرعون وشرطته عن قتال جند الله .

وكيف يقاتلونه ولا يعمل فيه السيوف ولا يعمل فيه السهام .

هنالك علم أهل مصر ضعف فرعون ، وعجز هامان ، وقلة حيلة الشرطة .

ولكنهم لم يعتبروا ! ولكنهم لم يتنبهوا !

فبعث الله عليهم جندا آخر ، ذلك هو القمل .

وتسلط عليهم القمل ، فالعياذ بالله ! القمل فى الفراش ، والقمل فى الثياب ، والقمل فى الرأس ، والقمل فى الشعر .

فطار نومهم وباتوا يقصمون[1] القمل ويسبونه ، حتى يصبحوا .

وكيف يقاتلونه والقمل لا تعمل فيه السيوف ولا تعمل فيه السهام ، ولا يجدهم فى ذلك جنودهم وشرطتهم .

ثم بعث الله عليهم الضفادع ، ففى الطعام ضفادع ، وفى الشراب ضفادع ، وبين ملابسهم ضفادع .

وسئموا هذه الضفادع وتنغص عيشهم .

وانتشرت الضفادع وفشت فى جميع أنحاء البيت .

تلك تنق[2] وهذه تثب هنا وتلك تقفز هناك .

ولا يقتلون واحدة إلا وتاتى عشر ولا يخرجون واحدة إلا وتظهر خمس كأنها تولد فى البيت .

---

(١) قصع القملة بظفره : قتلها .

(٢) تصوت .

عجزت الحراس وعجزت الشرطة عن الضفادع .

وبعث الله عليهم آية خامسة ، ذلك هو الدم .

فسال الرعاف من آنافهم وضعفوا وتعبوا جدًا .

وعجز الأطباء عن العلاج ولم ينفعهم دواء .

وكلما رأوا اية قالوا لموسى ادع لنا ربك أن يكشف
ا هذا البلاء ونتوب ونؤمن ونرسل معك بنى إسرائيل .

فلما كشف الله عنهم البلاء نكثوا عهدهم .

« فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين » .

٣٣ - الخروج

وضاقت على بنى إسرائيل أرض مصر وهى واسعة .

وما يصنعون بخصب مصر وخيرتها وهم فى سجن
يدوقون كل يوم صنوفا من العذاب والهوان !!

إلى متى يصبرون ، أليسوا بنى آدم يشعرون بالأذى والألم ؟!

وأوحى الله إلى موسى أن يسرى ببنى إسرائيل ليلا ويخرج بهم من مصر .

وأحس بذلك شرطة فرعون ولهم عيون الغراب وشامة النمل وأخبروا بذلك فرعون .

سار موسى ببنى إسرائيل فى الليل نحو الارض المقدسة وهم اثنا عشر سبطاً كل سبط عليه أمير

والطريق إلى الشام طريق واضح معلوم ، بر يصل بين البرين وقد جازه موسى مرتين[1]

ولكنَّ موسى أراد أمرا وأراد الله أمرا وكان ما أراده الله .

---

(١) مرة ذهاباً إلى مدين ، ومرة إياباً إلى مصر .

أخطأ موسى الطريق ، وحيث أخطأ موسى اصاب القدر :

ظن موسى أنه يسير ببنى إسرائيل إلى جانب الشمال .

فإذا به قد سار بهم فى ظلام الليل إلى جانب الشرق[1]

وإذا بهم أمام البحر الاحمر تتلاطم أمواجه .

ياحافظ ! ياسائر ! أين نحن ؟

كان الجواب إننا أمام البحر !

والتفتوا إلى الوراء فإذا بغبار ساطع !

وإذا بجند عظيم قد سد الأفق !

هنالك ارتفعت الاصوات .

يا ابن عمران ! ماذا أنكرت منا حتى دبرت قتلنا ؟

رجئت بنا إلى شط البحر ليقتلنا فرعون قتل الفيران

حيث لا فرار ولا نجاة .

---

(١) يحسن بالمعلم أن يستلفت الطلبة إلى خارطة مصر .

لا نذكر إليك سوا فلماذا هذا الإنتقام ؟!

ألم يكفك ما اصابنا من الجهد والبلاء لأجلك حتى جئت بنا إلى هنا ؟!

ها هو البحر امامنا ، وها هو العدو وراءنا ، وليس لنا إلا الموت !

هنالك أظلمت الدنيا فى عيون بنى إسرائيل ، وزاغت الابصار واستولى اليأس ثم خفتت الاصوات .

هنالك تزلزل كل أحد ، وحق للجبال الراسيات أن تتزلزل .

ولكن إيمان موسى بربه لم يتزلزل وسمع الناس صوتا فيه جلال النبوة .

« كلا إن معى ربى سيهدين » .

وأمر الله موسى أن يضرب بعصاه البحر ، فضرب فانفلق البحر وقام الماء على كل جانب كالجبل .

وإذا اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق .

وسار القوم آمنين ووصلوا إلى بر الامن والسلام .

٣٤ - غرق فرعون

ورأى فرعون كيف سار بنو إسرائيل وعبروا البحر آمنين .

وقال فرعون لجنوده أنظروا إلى البحر كيف انفلق طوعا لامرى حتى آخذ هؤلاء الفارين .

وتقدم فرعون بجنوده ، فجزع بنو إسرائيل مرة أخرى .

هاهو العدو ها هو الظالم يريد أن يسبر الطريق إلينا.

ولا يمنعه منا شيء ، وسيلحقنا ويأخذنا إلى مصر مأسورين اذلا أو يقتلنا فى هذه البرية غربا .

وأراد موسى أن يضرب بعصاه البر فيعود بحرا كما

كان ولكن أوحى الله إليه : أترك البحر ساكنا « إنهم جند مغرقون » .

ولما وصل فرعون وجنوده إلى عرض البحر (وهو بر) إنطبق عليهم .

ولما رأى فرعون الجد زالت سكرته .

« حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » .

ولكن هيهات « ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الان » .

و « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا » .

فقيل له « آلئن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » .

ومات فرعون فى البحر غرقا

مات الجبار الذى قتل ألوفا من الاطفال والرجال بحا وخنقا .

مات الطاغية الذى قتل ألوف آلاف صبرا وشنقا .

مات ملك مصر بعيدا عن عرشه بعيدا عن قصره ، بعيدا عن سلطانه لا طبيب يداويه ، ولا صديق يواسيه ، ولا عين تبكيه .

وكان بنو إسرائيل فى شك عن موته يقولون إن فرعون لا يموت .

أما كنا نراه يقضى أياما ولا يا كل ولا يشرب ؟!

وقذف البحر جثته فايقنوا بموته .

وقال الله تعالى لفرعون « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » وكانت جثه فرعون اية للناظرين وعبرة للمعتبرين .

وغرق جند فرعون عن آخره وما نجا منهم أحد .

وخلفوا مصر وراءهم ولم يجدوا فى أرضها الواسعة ذراعا لِمدفن .

« كم تركوا من جنت وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فكهين ، كذلك وأورثنها قوما اخرين ، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين » .

٣٥ — فى البرية !

وصل بنو إسرائيل إلى بر الأمن والسلام وتنفسوا فى هوائه كالاحرار الاشراف .

هنالك لا يخافون فرعون ولا يخافون هامان ولا يخافون شرطته .

هنالك يعشون آمنين مطمئنين لا يخشون أحدا إلا الله .

ولكنهم كانوا أهل الحضر وكانت الشمس توذيهم فى البرية .

وكانوا ضيوف الله ! ألم تر إلى الملوك كيف يكرمون ضيوفهم ؟!

وكيف يضربون لهم الخيام تقيهم حر الشمس ؟!

إن كرامة الله فوق كل كرامة !

وأمر الله الغمام أن يظلهم ، فكانوا يمشون فى ظل الغمام ، وكان الغمام يسير معهم حيث ساروا ويقف أينما وقفوا .

وعطش بنو إسرائيل ولا ماء فى البرية ، ولا نهر ولا بر .

ذهبوا إلى موسى ، يشكون إليه العطش كما يشكو الطفل إلى أمه ويستغيثها .

ودعا موسى ربه ! ومن له غيره ؟!

فقال « اضرب بعصاك الحجر » .

« فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم » .

وجاع بنو إسرائيل فشكوا الى موسى الجوع كما يشكو الطفل إلى أمه ويستغيثها .

وقالوا انك اخرجتنا من مصر ارض الفواكه والثمرات وأرض الخيرات والطيبات. فمن لنا بطعام فى هذه البرية ؟

ودعاموسى ربه ! ومن له غيره ؟! فانزل عليهم الطعام.

انزل لهم على اوراق الاشجار مثل الحلوى ، وأرسل اليهم طيراً ياخذونه من الاشجار بسهولة .

ذلك هو المن والسلوى ، صيافة الله لبنى إسرائيل فى البرية .

٣٦ - كفران بنى إسرائيل

ولكن بنى إسرايل قد افسد ذوقهم وخلقهم العبودية الطويلة .

وكانوا لا يقرون على شىء ، وكانوا لا يسكنون إلى شىء وكانوا فى طباعهم اطفالا .

وكانوا قليلى التشكر كثيرى التشكى سريعى السامة يجبون ما منعوا ويكرهون ما أعطوا .

ولم يلبثوا قليلا أن قالوا لموسى قد سئمنا هذا الطعام الواحد ، وقد سئمنا هذا اللحم وهذه الحلوى .

وقد اشتهينا الخضر والبقول .

« يموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » .

تعجب موسى من هذا السؤال الغريب وقال بصوت فيه الانكار وفيه الاستعجاب وفيه العتاب .

« أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » ؟!

أبقولا وخضر مكان طيور وحلوى لم تمسها يد إنسان ؟ !

أطعام الفلاحين بدل طعام الملوك ؟

يا لفساد الذوق ! يا لسوء الاختيار !

ولـــكن بنى إسرائيل لم يتنازلوا عن سوالهم ، ولم يزالوا يطلبون الخضر والبقول .

فقال موسى إن ما سألتم يوجد فى كل قرية ومصر .

« إهبطوا مصرا فان لـكم ما سألتم » .

٣٧ — عناد بنى إسرائيل

وكانت بنو إسرائيل فى طباعهم اطفالا واطفالا معاندين .

وكلما امروا بامر يخالفونه إلى ضده ويستهزءون به .

كانهم يرون من الواجب أن يبدلوا ما يقال لهم .

كطفل عنيد يقال له قم فيجلس ويقال له إجلس فيقوم ، ويقال له اسكت فيتكلم ويقال له تكلم فيسكت .

وكان فيهم عناد الاطفال فى خبث الاشرار فى هزء الاعداء فى سفاهة المجانين .

كانوا يريدون أن يسكنوا قرية ويأكلوا طعامهم الشهى من الخضر والبقول .

ولكنهم لما قيل لهم « اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطيكم وسنزيد المحسنين »

غضبوا من هذا الامر الالهى ، ودخلوا القرية كرها وهزوا يزحفون على استاههم .

« فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم » .

فأنزل الله عليهم بلاء وبعث عليهم وباء ماتوا منه موت الفيران .

وإذا امروا بامر أكثروا السؤال والتنقير .

شان رجل لا يريد ان يعمل فيكثر السوال والتنقير .

حدث فى بنى اسرائيل حادث قتل ، فاتهم ذلك بنى اسرائيل .

ولم يهتدوا إلى القاتل ، وكان السوال عن القاتل حديث الناس .

جاءوا إلى موسى - عليه الصلاة والسلام - وقالوا عنا يا نبى الله فى هذه القضية وادع الله يبين لنا القاتل .

٣٨ - البقرة

ودعا موسى ربه فاوحى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة .

هنالك حلت المصيبة ، وبدا بنو إسرائيل يسألون ويسخرون .

« وإذ قال موسى لقومه إن الله يامركم أن تذبحوا بقرة » .

« قالوا أتتخذنا هزوا » .

« قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » .

وهنا ارسلوا الاسئلة .

« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى » ؟

« قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون » .

ولم يقفوا على هذا السؤال ، بل بداوا يسألون عن لونها .

« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها » .

« قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين »

ولم يجدوا سؤالا فأطلقوا السؤال .

« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » .

« قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها » .

ووفقوا فى هذه المرة لانهم قالوا « وإنا إن شاء الله لمهتدون » فاهتدوا .

ولكنّ أسئلتهم ضيقت عليهم الامر ، فلو ذبحوا أى بقرة لكانت كافية ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم .

وفتشوا عن البقرة العوان الصفراء الفاقع لونها التى لا تثير الارض ولا تسقى الحرث المسلمة التي لاشية فيها .

وندر وجود هذه البقرة الغريبة فإما بقرة فارض وإما بقرة بكر .

وإما عوان ولكن غير صفرا .

وإما بقرة عوان صفراء ولكن لونها غير فاقع .

وإما بقرة عوان صفراء فاقع لونها ولكنها بقرة ذلول تثير الارض .

وإما بقرة عوان صفراء فاقع لونها لا تثير الارض ولكنها تسقى الحرث .

وفتشوا وفتشوا وعلموا عاقبة هذا التنقير ، ما هى ؟ ما لونها ! ما هي ! وتعبوا .

وأراد الله يتيم خيراً فوجدوا هذه البقرة التى وصفها الله عنده فاشتروها بثمن غال جدا « فذبحوها وما كادوا يفعلون » .

وأمر الله أن يضرب المقتول بجزء من أجزاء البقرة فيحيا ويخبر باسم القاتل .

وهكذا كان .....

٣٩ — الشريعة

وخرج بنو إسرائيل من عيش البهائم إلى عيش الناس .

وصاروا يعيشون فى البرية كالاحرار الاشراف .

هنالك احتاجوا إلى شريعة إلهية تحكم بينهم وتنير لهم السبيل .

إنَّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش كإنسان إلا بشريعة إلهية ، إلا بنور من ربه .

العالم كله ظلام فى ظلام إلا من أشرق له نور من ربه .

وذلك النور هو نور الأنبياء الذى يهتدى به الناس .

ومن لم يهتد بهذا النور كان فى ضلال يخبط خبط عشواء .

فالعقائد - بغير هذا النور - اوهام وخرافات يضحك منها الاطفال .

أما سمعتم عقائد المشركين والكفار واليهود والنصارى وخرافاتهم وأساطيرهم ؟!

والعلم جهل وظن وتخمين وشك « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

والاخلاق تفريط وإفراط وتقصير وإسراف ، إما رأيتم الذين لا يتبعون الأنبياء كيف يهضمون الحقوق وكيف يجاوزون الحدود وكيف يتبعون الهوى ؟!

والحكم والسياسة ظلم واستبداد وخبط فى أموال الناس وحقوقهم ودمائهم .

أما رأيتم أولى الامرِ - ممن لا يخافون الله ولا يتبعون الشريعة - كيف يخونون الأماناتِ وكيف يعبثون بأموال الله ، وكيف يعبثون بدماء الناس وحقوقهم ؟!

وكيف استعبدوا الناس وجعلوهم شيعا يذبحون رجالهم ويستحيون نساءهم ، أتعلم كم قتلَ فِي الحرب الأولى وكم قتل فى الحرب الثانية[1] ؟!

فالعالم كله ظلامَ فى ظلام فى ظلام إلا من أشرق له نور من ربه .

---

(١) للعلم : عدد المصابين فى الحرب الأولى الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) على ما حققه الانكليزى السياسى الخبير أى - اليس تاونسند أكثر من سبعة وثلاثين مليوناً ٣٧٥١٣٨٨٦ رجل ، المقتولون منهم ٨٥٤٣٥١٥ نسمة ، وقدر النائب البريطانى المستر ميكستن أن عدد المصابين فى الحرب الثانية الكبرى لا يقل عن خمسين مليونا .

« ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »

والنبي يعلم الناس كيف يعبدون الله ، وكذلك يعلمهم كيف يعامل بعضهم بعضا .

والنبي يعلم الناس آداب الحياة مع آداب الدين ، ويعلمهم آداب الاكل وأدب الشرب وأدب النوم وأدب المجلس وأدب كل شيء .

ويعلمهم الاداب كما يعلم الوالد الشفيق أبناءه الاعزة .

والناس كالاطفال الصغار يحتاجون فى كبرهم إلى تربية الانبياء أكثر مما يحتاجون فى صغرهم إلى تربية الآباء .

والذين لم يتلقوا هذه التربية النبوية ولم يتعلموا الآداب من الأنبياء كأشجار البرية ، نبتت ونشأت بنفسها فترى فيها عوجا وشوكا وفسادا .

٤٠ — التوراة

وَأراد الله أن لا يضيع بنو إسرائيل كما ضاعت أمم بغير كتاب وهدًى من الله .

وأراد أن لا يخبطوا خبط عشواء كما خبطت أمم خبط عشواء .

أمر الله موسى أن يتطهر وأن يصوم ثلاثين يوما ثم يأتى إلى طور سيناء حتى يكلمه ربه ويتلقى كتابا يكون لهم الإمام .

اختار موسى من قومه سبعين رجلا يكونون على ذلك من الشاهدين لأن بنى إسرائيل قوم جحد

« وقال لأخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » لأن الجماعة لابد لها من إمام.

سار موسى لميقات ربه ، ولكنه حثه الشوق إلى ربه فتقدم وسبق إلى الطور .

قال الله : « ما أعجلك عن قومك ياموسى ؟ »

« قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى »

وأمره الله أن يتم ميقات ربه أربعين ليلة .

وصل موسى إلى طور سيناء فكلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه ، فزاده ذلك شوقا فقال : « رب أرنى أنظر إليك » .

والله يعلم أن موسى لايستطيع ذلك لأن الله « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

وإن الجبال لاتستطيع ذلك ، بل إن الجبال لاتستطيع أن تحمل كلامه فضلا عن نوره .

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

« فقال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » .

« فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا »

« فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وانا أول المؤمنين »

« قال يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » .

اخذ موسى الالواح وفيها كل ما يحتاج إليه بنو اسرائيل موعظة وتفصيلا لكل شيء .

وأمره الله أن ياخذها بقوة ويامر قومه ياخذوا باحسنها .

ولما وصل موسى إلى السبعين رجلا من قومه وأخبرهم بما انعم الله عليه قالوا فى وقاحة وجسارة .

« لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » غضب الله على هذه الوقاحة والجرأة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون

ورأوا أنهم لا يتحملون هذه الصاعقة التى خلقها الله فكيف يتحملون نور الله !

ودعا موسى ربه وقال : « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟! »

وأجاب الله دعاءه وبعثهم من بعد موتهم لعلهم يشكرون .

٤١ — العجل

وكان بنو إسرائيل يعيشون مع المشركين فى مصر منذ قرون .

وكان الأقباط يعبدون أشياء كثيرة فى مصر وبنو إسرائيل يرون ذلك بعيونهم

وزالت منهم كراهة الشرك وتسرب إليهم حبه كما يتسرب الماء إلى بيت واهن عتيق .

وكانوا كلما وجدوا فرصة انحدروا إلى الشرك كما ينحدر الماء إلى الحدور

وزاغت قلوبهم وفسد ذوقهم فإن يروا سبيل الرشد

لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا.

جازوا البحر « فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ».

وغضب موسى وقال « إنكم قوم تجهلون ».

يا للعجب! يا للظلم! إن الله قد أنعم عليكم وفضلكم وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين

« أغير الله ابغيكم إلها وهو فضلكم على العلمين ».

سار موسى إلى الطور وغاب عنهم اياما فكانوا صيد الشيطان وفريسة الشرك.

قام رجل منهم يقال له السامرى « فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ».

وفتن بنو إسرائيل بهذا العجل وخروا عليه صما وعميانا.

« أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا »

« الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » .

ونهاهم هارون عن ذلك واجتهد وقال : « يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري » .

ولكن بني إسرائيل كانوا مفتونين بسحر السامري وأشربوا في قلوبهم العجل فقالوا :

« لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » .

٤٢ - العقاب

ولما اخبر الله موسى ان بني إسرائيل اضلهم السامري رجع إلى قومه غضبان أسفا

وغضب على قومه وغضب لله على اخيه هارون .

« قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن ، أفعصيت أمري » .

واعتذر هارون وقال « إني خشيت ان تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي » « إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني »

« قال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين » .

ثمّ التفت موسى إلى السامرى قال فما خطبك يا سامرى ؟

واعترف السامرى بجرمه وقال : « كذلك سولت لى نفسى » .

قال فاذهب فإنّ لك فى الحيوة أن تقول لامساس » .

وعاقبه موسى بالانفراد ، يمشى وحده ويعيش وحده كالوحشى لايالف ولا يؤلف .

وأى عقاب ! كبر من هذا ؟!

إنّ الذى نجس ألوفا من الناس بالشرك يجب أن يتقذره الناس وينبذوه .

إن الذى فرق بين الله وعباده يجب ان يفرق بينه وبين الناس .

إن الذى دعا إلى الشرك فى أرض الله مذنب يجب أن تكون الارض كلها سجنا له

ثم التفت موسى إلى العجل الملعون فأمر بإحراقه فأحرق ثم نفضه فى البحر

ورأى بنو إسرائيل مصير العجل المعبود ورأوا ضعفه وعجزه

ثم التفت موسى إلى بنى إسرائيل وقال :

« ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى باركم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند باركم »

وكذلك فعلوا ، وقتل الذين لم يعبدوا العجل الذين عبدوه وهكذا تاب الله عليهم .

وقال الله تعالى :

« إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين » .

وَكَذٰلِكَ عُبَّادُ العجلِ إلى يوم القيامة وكذلك المشركون إلى يوم القيامة !

٤٣ — جبن بنى إسرائيل

نشأ بنو إسرائيل على العبودية في مصر وعلى الذل والهوان وشب عليه الأطفال وشاب عليه الشبان ، وبرد في عروقهم الدم .

وأصبحوا لا يحلمون بسيادة ولا يتحدثون بغزو ولا جهاد .

كان بنو إسرائيل يقضون أيامهم في الغربة ليس لهم وطن ولا حكم .

فاراد موسى بوحى الله أن يدخلوا الارض المقدسة أرض آبائهم ويسكنوا فيها ملوكا أحرارا

ولكن موسى كان يعرف طبيعة الجبن والضعف في بنى إسرائيل .

فأراد أن يشوقهم وأن يهون عليهم الأمر .

لأن الأرض المقدسة قد استولى عليها الحيثيون والكنعانيون وهم قوم أولو قوة واولو باس شديد .

ولا يدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة حتى يخرجوا منها هؤلاء الجبارين .

فذكر نعم الله عليهم وما فضلهم به على العالمين ، حتى ينشطوا للجهاد فى سبيل الله وحتى يكرهوا هذه الحياة الذليلة غير اللائقة بأبناء الانبياء وأولاد الملوك .

« وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين » .

ثم قال لهم إن الله قد كتب لكم الأرض المقدسة فليس لكم إلا أن تقوموا وتنتزعوها من اعدائكم .

وإن الله إذا كتب لاحد شيئا وقدره له فقد هان عليه أن يأخذه فلا راد لقضاء الله .

« يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم » .

وخاف أن تغلبهم طبيعة الجبن فقال :

« ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » .

ووقع ما كان يحذره موسى ، فكان جوابهم على كل ما قال موسى .

« يا موسى إن فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » .

وقالوا فى وقار وسكون :

« فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » .

« قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون * وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » .

ولكن ذلك لم يؤثر فيهم وقالوا :

إذا كان لا بد من الدخول فادخل أنت بمعجزة ، فإذا سمعنا أنك قد دخلتها ، جئنا فدخلنا نحن أيضا آمنين سَالِمِينَ .

« قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » .

هنالك غضب موسى ويئس من هؤلاء .

« قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » .

« قال فإنها محرمه عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تاس على القوم الفاسقين »

وفى هذه المدة يموت هذا الجيل الذى نشأ فى مصر على العبودية والذل .

وينشأ جيل آخر ينشأ فى هذا التيه على الشدة والعسر وتلك أمة المستقبل .